

عبور الخيول الفلسطينية

نابلس تقف على ساق واحدة . كل حواسها متجمعة .. الحيطان تتحدث وأشجار الصبير تهتز على سفح الجبل .
وكأن عيال وجرزيم قد تباعدا ليرسما ضحكة عربية اصيلة .

فدائي ... ابو النافع .. فدائي

القلائل من الذين عرفوه مناضلا عام 1948 لم تفاجئهم الانباء .. فدائي !.. كيف ؟!.. ماذا عمل ؟

عملية المطار . وصل الشباب فيها الى قلب الهدف ، ولكن الحظ .

وما دخل ابو النافع في المطار .. هل اصبح يستورد الخيل للصهاينة بالطائرة ؟!

لؤي ... ابن ابو النافع مع عماد ... ابن يعيش هما بطلا العملية .

لؤي عبده بطل العملية .. انا معك .. ولكن ابوه ماعلاقته . الذي ينجب فدائياً لا يعني انه يصبح فدائياً . ياما شوك
خلف ورد .

اذن .. لماذا اخذوا ابو النافع وحبسوه ؟ اجراءات روتينية .. بعض التحقيقات وغداً يفرجون عنه .

ودارت الحوارات في كل مكان . واصبحت حديث الناس الشاغل في مدينة نابلس وعرف الناس القصة على
حقيقتها بعد يومين .

والله صحيح . طلع ابو النافع فدائي .. وابو الفدائيين .. ياما في الارض المحتلة مظلومين .

عند الجسر وقف يوئيل ينتظر وصول ابو النافع . كانت علاقته مع مأمور الجمرک على ما يرام ماديا ومعنويا ،
ولذلك تلاشت كل التعقيدات الروتينية وعبر ابو النافع والخيول الفلسطينية الثمانية الى الارض المحتلة بهدوء .
كان يوئيل يطير فرحاً من التوفيق الذي حالفه في هذه الصفقة . ثمانية خيول اصيلة تقف شامخة واجسادها
اللامعة تفوح صحة وعافية وصهيلها يدغدغ في جيوبه غرائز الانتفاخ المرابي .

قال ابو النافع ليوئيل :

- هنالك احدى عشر رأساً من الخيل جاهزة وسأحضرها في المرة القادمة .ازدادت فرحة يوئيل . ولم يستطع ان
يرد فهو يكاد ان يكون المستورد الوحيد للخيول العربية الاصيلية في الارض المحتلة . وقبل ان يعترف على ابو
النافع ويشاركه في التجارة لم يكن باستطاعته ان يحضر خيولاً اصيلة . كل ما كان يمكنه الحصول عليه هو
رأس او رأسين من بقايا اسطبلات الدرجة الثالثة في الاردن . ومنذ ان تعرف على ابو النافع اصبحت تصله
خيول من ارض السلالات (على ذمة ابو النافع) وخصوصاً عندما يسلسلها ابو النافع للزبائن .

- انت عارف يا خواجا كم يكلف احضار مثل هذه الخيول . لقد حصلت عليها بقرار ملكي . انها دخلت الاردن
لتنضم الى الاسطبلات الملكية او اسطبلات الشريف ناصر . انا احضر خيل اصيلة مش كدائش .

واخذ يوئيل يدور حول الخيول بفرح . ويربت على ظهورها بينما كانت انظار ابو النافع تلتقي مع انظار الخيول
واحداً واحداً والفرحة المشتركة بالسلامة تنعكس في همساته .-

- والله وصرت فدائي يا مبروك ... نظمناك وعملنا لك لم شمل . وسأبيعك لواحد مهم حتى تصبح تقاريرك مهمة . ومبروك هو الحصان الاجمل الذي دفع ابو النافع للحصول عليه اعلى ثمن . وها هو يقف بينه وبين لجامه عشرة صواعق هي بدايات اساسية لعشرة عمليات ناجحة ضد العدو الصهيوني . ومثل مبروك كانت الخيول الاخرى تحمل في لجمها . وكان ابو النافع يردد بيتا قديما من الشعر .

اقذف السرج على المهر وقرطه اللجاما ثم صب الدرع في رأسي وناولني الحساما .
يضحك في سره ويردد : .. لقد ذهب اوان الحسام وقرطنا المهر بالصواعق وغداً تأتي الحرائق.

تسلم لؤي الصواعق من والده .. ثمانين صاعقا .. كاد يطير من الفرع . اخذ ما يحتاجه لعملية المطار وخبأ الباقي في كيس بين تنك الخزين . وفي اليوم التالي كان رفيقه عماد على بعد امتار من قاعة المسافرين في مطار اللد . لقد حطما الجزء الاكبر والاهم من حاجز الامن الصهيوني . ورغم ان المتفجرات التي حملها لم تنفجر ، الا ان مفعولها النفسي بعد القاء القبض عليهما في اللحظة والمسافة الحرجة قد هز ارجاء المطار واغلقه واعلن فيه حالة الطوارئ.

وفي اليوم التالي اعتقل ابو النافع . ورأى الحالة التي وصل اليها ابنه نتيجة التعذيب وهو يحاول اختراع قصه مقنعه تثبت انه هو الذي ادخل الصواعق الى الارض المحتلة .

قال ابو النافع للاعداء :

- اتركوه .. انا الذي ادخلت الصواعق ..

اعترت ضباط العدو دهشة قاتلة . واخذوا ينظرون الى بعضهم البعض .. وارتفع انين لؤي محتجاً وهو يؤكد بانه هو الذي ادخل الصواعق .. وليس والده .. ولكن قصة الاب كانت اكثر اقناعاً فوضعه على آلة التعذيب مكان ابنه . وفي اليوم التالي كان عليهم ان ينقلوه الى مستشفى السجن . واصبحت كل الخيول التي احضرها ابو النافع للارض المحتلة مشبوهة وطلب الكشف عليها من جديد ومراقبتها .

واعترت ضباط الامن الذي حقق مع ابو النافع وابتلى بسياسات سخريته رجفة جعلته يشك بان كل الخيول التي ادخلها مدربة ومنظمة ، بعضها ادخل في لجامه صواعق والبعض الاخر جهاز ارسال وبعضها يحمل تحت جلده طبقة من المتفجرات البلاستيكية التي سيستخدمها الفدائيون في الوقت المناسب . وغزا الارباك كثيرا من البيوت المسؤولة .. ابنة الوزير التي تعتز بان حصانها احضره ابو النافع من الجزيرة العربية والذي هو من سلالة الابجر حصان عنتر .. وضابط الامن الذي اكد له يوئيل وهو يبيعه الحصان انه من سلالة حصان عقبة بن نافع الذي خاض المحيط . ولورا ابنه يوئيل كانت تتباهى بحصان ابو فراس الحمداني .

يقول احد المرضين العرب الذين شاهدوا ابو النافع في مستشفى السجن انه رغم الدم المنتثر على جسده فانه كان دائم الضحك . كان يشعر بزهو شديد . وكان شامتا بالعدو يقابل ضرباته بالضحك وبهتاف عاشت فلسطين . انه مصر على انه قد حقق نجاحا باهرا في مهمته الاخيرة . كان يهمس .. مش مهم فقط يحصل الانفجار ويموت الاعداء ، المهم ان يعرفوا جيداً انه لا مكان لهم على ارضنا وان كل الذين يظنونهم اصدقاء لهم هم في الحقيقة اعداء .. ولن يقبوا بالصهاينة على ارض فلسطين .

لست انا اولهم ولا اخرهم .. لقد حسبني اولاد (...) صديقا لهم وقابلا بوجودهم عندما بعثهم بعض الخيول ... فشرروا . لقد ضحكك عليهم .. نصف الخيول التي احضرتها كدايش بدون اصل سلسلتها على مزاجي .. ولكنها كانت خيول وفيه ... وان كان اصلها غير معروف فهي منذ ان تعرفت على اخوك ابو النافع ونظمها أصبح لها انتماء سياسي .. أصبحت خيول فلسطينية اصيلة مستعدة لتنفيذ كل المهمات ...

ويضحك ابو النافع متغلبا على الالم وهو يردد .. خلي اولاد (...) يعرفوا من الذين معهم ... ليس كل من يضحك معهم او يسهر معهم هو عميلا لهم .. كل الفلسطينيين جنود للثورة .. وان كان هنالك بعض الخونة الذين باعوا انفسهم للشيطان فان الثورة لن ترحمهم ... ولقد اخبرت اخواني هنا وهناك ... بان لا يحكموا على الظواهر وان عليهم ان يحكموا على الناس بعد تكليفهم بالمهمات ... شعبنا خير .. وكله خير وغدا سيعرف اولاد (...) من الذين يضحكون عليهم .. الذين لم يعرفوه اليوم سيظهر غداً حتى النصر .

ويتمتم الممرض العربي في سره :

- والله صحيح .. طلع ابو النافع فدائي .. وابو الفدائيين وياما في الارض المحتلة مظلومين.

صوت فلسطين

صوت الثورة الفلسطينية

وبعد ساعات كان خط التلفون الحامي بين القاهرة وواشنطن يهتز . كان صوت كيسنجر الغاضب يولول .

- هذا ضد الاتفاق . انكم ستدمرون كل شيء ، لقد اتفقنا على وقف الحملات الاذاعية . ولكن هذه الاصوات المنطلقة من اذاعتكم تعطي تعليمات لتنفيذ عمليات عسكرية .. انها حرب استنزاف الطرف الاخر يعتبر هذا خرقا للاتفاق ..

وتلغثم صوت المسؤول المصري وهو يحاول الخروج من المأزق بمبررات لم تخفض من حدة العزيز هنري . وفجأة قال المسؤول المصري بحدة ... لا تقلق ... سنغلقه .. وفي اقرب فرصة .

في زحمة الرحلات المكوكية لكيسنجر . وتحت تأثير الحقن السرية للاتفاقية الامريكية المصرية الصهيونية تحت حمراء وال فوق بنفسجية . استدعى رئيس الوزراء المصري المسؤول عن صوت فلسطين .. صوت الثورة الفلسطينية . ابتداء الحوار هادئاً وتشعب حول مزيج من القضايا المتناقضة ثم انصب فجأة على قضية واحدة وهي موقف اذاعة الثورة الفلسطينية في القاهرة من الاتفاقية المزمع توقيعها خلال ساعات بين مصر والعدو الصهيوني باشراف كيسنجر .

وكان رد المسؤول عن الاذاعة واضحاً ... ومحدداً

- ان موقف الاذاعة هو موقف قيادة الثورة الفلسطينية . وتساءل رئيس الوزراء المصري .

واذا كانت هناك مواقف متطرفة نتيجة عدم الفهم لما يجري بدقة .. هل ستنجرون خلفها ؟

سرح المسؤول عن الاذاعة بفكره قليلا ثم قال :

- اذا كان هنالك عدم وضوح لما يجري لدى قيادة الثورة الفلسطينية فهذا يعني انكم لا تضعون القيادة في الصورة الصحيحة وبوضوح وصراحة . ونحن نعرف ان لدى قيادتنا مصادرها الخاصة والمتعبة لمعرفة ما يجري

وهي اقدر منا على اخذ الموقف الصحيح من جهة وهي المخولة وليس نحن بذلك . ونحن سنظل نرى الامور من خلالها وننفذ تعليماتها .

والموقف من امريكا ... هل ستظلون تشتمون امريكا ؟

- امريكا لا تزال العدو الذي يساند بلا حدود الصهاينة الذين يحتلون ارضنا .

وقف رئيس الوزراء منهايا بذلك اللقاء . وودع مسؤول الاذاعة وهو يتمتم .

- اذا لم تتعقلوا فقد نضطر لغلاق الاذاعة .

- نتوقع ذلك .. ولكن الدرس السابق اثبت اننا على حق وان روجرز كان خداعاً . ونعتقد الان ان كيسنجر اكثر خداعاً .. واننا على حق .

كانت مشكلة الطالب الفلسطيني الذي يستعد لنيل شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة القاهرة انه لم يستطع تحديد موضوع اطروحته . ولقد كانت الاتفاقية المصرية الصهيونية الامريكية التي تجمد بنودها دور مصر في الصراع وفي القضية الفلسطينية، هي الومضة التي دلته على ضالته . وتحركت في ذاكرته كلمات الرئيس جمال عبد الناصر " كنت مقتنعاً في اعماقي ان القتال في فلسطين ليس قتالا في ارض غريبة . وهو ليس انسياقا وراء عاطفة وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس " .

وحدد الطالب الفلسطيني موضوع اطروحته .. " حدود مصر الآمنة عبر التاريخ " .

وغاص في الكتب من جديد .. استوعب دروس حطين .. وعين جالوت وفهم مغزى اللعبة الامريكية القذرة التي استهدفت اخراج مصر من حلبة الصراع . اخراج اللاعب الاول من المباراة ... ووضح في ذهنه دور استاذ التاريخ في جامعة برنستون والذي اصبح فجأة هنري كيسنجر .. وبمرارة .. فلسطينية تأكد من ان اعداءنا يقرأون تاريخنا جيداً .. وان المسؤولين عندنا يقرأون قصص الف ليلة وليلة ... ويعيشونها جيداً .

وفي غمرة انكبابه بين صفحات المجلد الخامس من تاريخ ابن خلدون وقف فجأة وهو يرى اسم " كيسنجر " يرقص على الصفحات 168 و 169 . تعجب من هذا التاريخ .. المعلم الاكبر .. وفرك عينيه متسائلاً .. اهي غلطات مطبعية .. ولكنه عاد وقرأ بصوت مرتفع :

" كان غياث الدين كسنجر بن قليج ارسلان لما ملك اخوه ركن الدين قونية من يده، لحق بحلب وفيها الظاهر بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبلاً، فسار الى القسطنطينية واكرمه ملك الروم واصهر اليه بعض البطارقة في ابنته وكانت له قرية حصينة في اعمال قسطنطينية فلما استولى الافرنج على القسطنطينية سنة ستمائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق وبلغ اليه خبر اخيه تلك السنوات، وبعث اليه بعض الامراء من قونية وخرجت اليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصن بها ثم قام اهل اقصر ا بدعوته وطردها واليهم، وبلغ الخبر الى اهل قونية فثار بقلج ارسلان بن ركن الدين وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فملكوه وامكنوه من ابن اخيه . وكان اخوه قيصر شاه قد لحق بصهره العادل ابي بكر بن ايوب فاستنصر به على اخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده فأمر له بالرها واستقل ملك غياث الدين وقصده علي بن يوسف صاحب شمشيات ونظام الدين بن ارسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم شأنه الى ان قتله اشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستمائة والله تعالى ولي التوفيق " .

وتأوه حزيناً ..

- حتى الاسماء تعيد نفسها ... كيسنجر واشكر وشكري عشو .. صاحب الاقصى .. ما اعظم التاريخ .

رن جرس التلفون في مكتب هنري كيسنجر .

كان المسؤول المصري يتحدث معه بانسراح :

- لقد نفذنا الاتفاق الان كاملا .. اغلقنا صوت فلسطين . وسنشرف بانفسنا عليه . انت تعرف ماذا تعني فلسطين بالنسبة للشعب المصري . لا نستطيع الاستغناء عن الاسم الان . ولكن المضمون سيكون تطبيقاً وفيماً للاتفاقية . وبعد ساعات كانت بعض الاصوات الشريفة تتصل بالمسؤول المصري تستفسر عن حقيقة اغلاق صوت الثورة الفلسطينية . هاج المسؤول المصري ... وماج وسأل الاصوات الشريفة بعصبية :

- الم تسمعوا بيان اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي ... اسمعوا ... انه يعتبر ان الاتفاقية " تضمنت مساساً واضحاً بقضية فلسطين والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .. وذلك بالموافقة على انتهاء حالة الحرب ورفع الحصار الاقتصادي عن (العدو الصهيوني) والا عتراف الضمني بشرعية كيانه والسماح بمرور بضائعه من قناة السويس " .

هل نسمح بهذا الكلام ان يصل الى شعب مصر الذي يفهم الاتفاقية على طريقتنا .

وحاولت الاصوات الشريفة ان تهديء من روع المسؤول المصري مؤكدة ما جاء في بيان اللجنة التنفيذية، فانفجر المسؤول من جديد وقال هنالك امور لا اسمح بها .. انا لا ارضى ان تصبح الاذاعة محرضاً ضدي ... للشعب ... للجيش .. اسمعوا البيان .. انه يعتبر ان الاتفاقية " تطعن في الصميم كرامة مصر ، وشعب مصر ، وجيش مصر ، .. " .

اليس هذا تحريضاً ... ولهذا فلن اسمح لصوت فلسطين ان ينطلق من القاهرة الا كما اريده انا .

وقال صوت عربي شريف ..

- ولكن صوت فلسطين .. صوت الثورة الفلسطينية يعم العالم . ان محاولة اخفاء الشمس بالغربال لن تجدي الا العميان ، او الذين يغمضون عيونهم عن الحقيقة ، حقيقة ان صوت فلسطين . صوت الثورة الفلسطينية سيظل ينطلق .. من كل مكان .. وكما انطلق في ايلول 70 ، تحت القصف المدفعي صوت زمزم 105 فان صوت زمزم 106 سينطلق رغم القذائف المتنوعة التي تستهدف الثورة الفلسطينية في ايلول 75 .